مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، فصلية محكّمة، العدد العاشر، صيف١٣٩١هـ.ش/٢٠١٢م

ابن الأثير؛ من العبقريّة إلى النرجسيّة

د.عيسى متقي زاده*
محمد كبيري**

الملخص:

يتابع هذا المقال نموذجاً مِن تحوّل الشخصيّة العبقريّة إلى شخصيّة نرجسيّة يُعجب فيها الشخصُ بنفسه، ويُصبح إنساناً لا يرى أحداً سواه. فقد كان هناك علاقة قد تحدث بين العبقريّة والنرجسيّة. ومن خلال تلك العلاقة تترك العبقريّة في صاحبها، طابعاً من الإعجاب المفرَط بالنفس بحيث يتّصف بالنرجسيّة وهي أن يعشق الإنسان نفسه ويعجب بها إعجاباً يُخرجه من حالته الطبيعيّة.

أمّا الشخصيّة العبقريّة التي تمّ البحث عنها فهي ***ابن الأثير***، العبقريّ الذي لم يسلم ممّا تتركه العبقريّة والنبوغ من الطابع السلبي في نفس صاحبها. فقد تحوّل هذا الأديب الكبير إلى شخصيّة نرجسيّة بما وفّرت له عبقريّته ونبوغه من التفوق والنجاح في مجال الأدب العربي.

وقد تطرّق هذا البحث إلى تبيين مفهوم كلٍّ من *العبقريّة والنرجسيّة*، ثمّ العلاقة بينهما، وقد أشار إلى حياة *ابن الأثير*، والحياة الأدبيّة في عصره بما تتمّ به الفائدة والاستفادة في موضوع هذا البحث، ومن ثمّ تطرّق إلى دراسة عبقريّة *ابن الأثير* وأشار إلى ملامحها، ثم درس نرجسيّته وذكر مظاهرها. وقد كان كتابه *المثل السائر* وهو أهمّ نتاجه الأدبي مرجعاً لتطبيق هذه الدراسة.وتوصّل البحث إلى أنّ ابن الأثير كان نرجسيّاً معتدّاً بنفسه معجباً بها بإفراط.

كلمات مفتاحية: ابن الأثير، العبقريّة، النرجسيّة، المثل السائر.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المقدمة:

قد قام هذا البحث بدراسة تطبيقية، تطرّق من خلالها إلى ظاهرة نفسية اشتهرت عند علماء النفس بـ(النرجسية)[2]. ويُعنى بها حبّ الإنسان ذاتَه وإعجابه لنفسه بحيث لايرى في الوجود مَن يُماثله ويضاهيه في ما يظنّه قد استأثر به من الخصائص المتميزة والأعمال الناجحة في المجالات المختلفة.

---

* - أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تربية مدرس، طهران، إيران. motaghizadeh@modares.ac.ir
** - ماجستير الأدب العربي، جامعة تربية مدرس، طهران، إيران. m.kabiri@modares.ac.ir
تاريخ الوصول: ١٣٩٠/١٠/٢٥هـ.ش= ٢٠١٢/٠١/١٥م تاريخ القبول: ١٣٩١/٥/٢٠ هـ.ش = ٢٠١٢/٠٨/١٠م

2- Narcissism

وقد يكون لهذه الظاهرة أسباب مختلفة، ولكن قد تسهم عبقرية الإنسان ونبوغه إسهاماً أوسع وأوضح بالنسبة لسائر الأسباب التي تدعوه إلى هذا النوع من الشذوذ في الشخصية.

ولقد تمّ في هذا البحث محاولة لدراسة النرجسية عند ***ابن الأثير***(ت٦٣٧هـ) الكاتب والناقد الشهير الذي عاش في أخريات العصر العباسي الرابع (٦٥٦هـ – ٤٤٧هـ)، والذي قد بدا لنا أنّ نبوغه وعبقريته الفائقة هي من أهمّ الأسباب التي دعته إلى النرجسية وحبّ الذات. فقد كان ابن الأثير عبقريّاً من عباقرة الأدب العربي في العصر العباسي، وقد قدّم بعبقريته نظريات وآراء نقدية وأدبية قيّمة لتطور الأدب العربي وتخليصه من التكلّف والتعقيد الذي طرأ على النثر العربي في القرنين السادس والسابع الهجريّين. إلّا أنّ ابن الأثير قد اغترّ بعبقريّته ونبوغه، فظهرت فيه مظاهر ممّا أسماه علماء النفس بـ(النرجسيّة).

وقد اتبع هذا البحث، المنهجَ الوصفي ـ التحليلي، وابتدأ أوّلاً بتبيين مفهوم كلّ من (العبقرية) و(النرجسية) والعلاقة بينهما، ثمّ تطرق إلى دراسة الحياة الأدبية في العصر الذي عاشه *ابن الأثير* ثم حياته. ومن ثمّ تطرّق إلى دراسة عبقريّة *ابن الأثير* فنرجسيّته. وقد كان كتابه؛ *المثل السائر* وهو أهمّ نتاجه الأدبي مرجعاً لتطبيق هذه الدراسة.

الدراسات السابقة:

قد تمّت دراسات حول ابن الأثير وأدبه، منها: دراسة معنونة بـ(**ابن الأثير وكتابه المثل السائر**) لـ د.*سمر روحي الفيصل*، ودراسة معنونة بـ(**معالم أسلوبية عند ابن الأثير من كتاب المثل السائر**) لـ د.*أحمد قاسم الزمر*، ودراسة أخرى عُنونت بـ***(من رجال البلاغة في عصر الحروب الصليبية:ابن الأثير)*** لـ *أحمد بدوي* وأيضاً قد تناول الأستاذ *أنيس المقدسي* رسائل ابن الأثير بالدراسة والتحقيق، وسمّى بحثه(**رسائل ابن الأثير**). إلّا أنّه لم يتمّ بحث ودراسة تتطرق إلى موضوع النرجسية في شخصيّة ابن الأثير ممّا هو ناتج عن عبقريّته ونبوغه الفائق في العصر الذي عاشه وانعكاس ذلك في أهم إنتاجاته الأدبية وهو *المثل السائر*.

ابن الأثير وأدبه:(١١٦٢م - ١٢٣٩م / ٥٥٨ هـ - ٦٣٧ هـ)

هو نصرالله بن محمد الشيباني، كنيته أبو الفتح، ولقبه ضياء الدين، ويُعرف بابن الأثير الجَزَري منسوباً إلى جزيرة ابن عمر التي ولد ونشأ بها. انتقل ابن الأثير مع والده إلى الموصل، وبها اشتغل

وحصل العلوم وحفظ كتاب الله الكريم، وكثيراً من الأحاديث النبويّة، وطرفاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان، وشيئاً كثيراً من الأشعار[١].

ولّما استكمل ***ابن الأثير*** ثقافته، مضى يريد الاتصال بصلاح الدين الأيوبي، فأوصله القاضي الفاضلُ إليه في جمادي الآخرة سنة (٥٨٧هــ) وقرّر له صلاح الدين مرتباً، ولكنّه لم يلبث في معية صلاح الدين سوى بضعة أشهر، حتى طلبه الملك الأفضل نور الدين من والده صلاحِ الدين، فخيّره صلاحُ الدين بين الإقامة في خدمته، والانتقال إلى ولده، فاختار ولدَه، ومضى إليه في شوال من تلك السنة ، ولعلّ الباعث له على هذا الاختيار رغبتُه في أن يكون بمكان يستطيع أن يظفر فيه بسامي المناصب وقوي النفوذ، ولن يكون ذلك مع صلاح الدين ووزيره القاضي الفاضل[٢].

تسلّم ضياء الدين بن الأثير منصب الوزارة للملك الأفضل، واستقلّ بهذا المنصب، بعد أن توفّي صلاح الدين وصار ابنه الملك الأفضلُ(السلطانَ الأكبر)، فآلت الأمور كلُّها إلى وزيره (ابن الأثير)، وأصبح بيده الأمر والنهي، وصار الاعتماد عليه في تصريف شؤون المملكة كلّها. إلّا أنّ ابن الأثير استبدّ بالحكم، وأصبح هو الآمر الناهي، بعد أن لزم مولاه الأفضلُ الزهد وأقبل على العبادة. فاختلّت أحواله غاية الاختلال، وكثر شاكوه من المتظلّمين. ويسهم ابن الأثير، في ضياع مُلك مولاه الملك الأفضل بسوء سياسته، وسوء معاملته للناس[٣].

حياته الأدبية:

استكمل ضياء الدين ابن الأثير ثقافته الأدبيّة في وقت مبكر، وعكف على الاستزادة من المعارف بعد ذلك، لكنّه لم يرتحل إلى مكان آخر ليلقى غير الذين عرفهم من علماء الموصل، ويبدو أنّه لم يتولَّ عملاً هناك بعد بلوغه العشرين من عمره، ولّما كان والده في بسطة من العيش واليسار فسح له المجال لإتمام دراسته وإغناء ثقافته قبل أن يتحمل وحده أعباء الحياة[٤].

قد خلّف ابن الأثير آثاراً أدبية قيمة قد أجاد فيها صاحبها، فها هو ابن خلّكان يذكر بعضاً منها ويقول:« ولضياء الدين من التصانيف الدالّة على غزارة فضله وتحقيق نبله، كتابه الذي سمّاه *المثل*

---

[١]- ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، ج٥، ص٢٥. وراجي عنايت، **علماء العرب**، صص١٦و١٧.

[٢]- سمر الفيصل، *«ابن الأثير الجزري وكتابه المثل السائر»*، **التراث العربي**، ص٧١.

[٣]- عمر موسى، **الأدب في بلاد الشام**، صص ٧٦٦و٧٦٧.

[٤]- المصدر نفسه، ص ٧٦٥.

السائر في أدب الكاتب والشاعر...جمع فيه وأوعى، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلّا ذكره، وله كتاب؛ *الوشي المرقوم في حلّ المنظوم* وهو مع وجازته في غاية الحسن والإفادة، وله مجموع اختار فيه شعرَ أبي تمام، والبحتري، وديك الجنّ، والمتنبي...وحفظُه مفيد»[١].

أمّا ***المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*** فهو أشهر آثار ابن الأثير وقد قامت شهرته على هذا الكتاب وذلك لما أودع فيه صاحبه من الآراء القيمة في النقد والبلاغة. يقول بطرس البستاني:« ولا جرم إنّ (المثل السائر) من عيون الكتب التي صُنّفت في علم البلاغة وقد نبل فيه صاحبه باتساق أفكاره، وقوة استنباطه، وحسن منطقه وتعليله، على جراءة في النقد والجدل»[٢].

ولاشك في أنّ كتاب *المثل السائر* ينمّ على ثقافة ابن الأثير الموسوعية، في القرآن والحديث، والشعر، والنثر على حدّ سواء. وهذه الثقافة مكنتّه من الإحاطة بكتب الأدب والنقد والبلاغة، وجعلت كتابه معرضاً لما انتهت إليه مصطلحات البلاغة، والنحو، والصرف، والعروض بعد استقرارها، واتاحت له الفرصة للمقارنة بين المؤلفات التي تنتمي إلى حقل معرفي واحد، ووفّرت له مجالاً لتحديد المفهومات الأدبية والنقدية في القرنين السادس والسابع الهجريّين، بيد أنّ أهمية *المثل السائر* تنبع قبل أيّ شئ آخر من محاولة ابن الأثير الجمعَ بين الأدب، والبلاغة، والنقد، في مستوى واحد، هو مستوى العلاقة بين الإبداع ونقده. فالقواعد النحوية والصرفية، والبلاغية لا تُذكر في هذا الكتاب لكي تُعرض تعريفاتُها وحدودها، بل تُذكر لبيان مكانتها في الفعّالية الأدبية الإبداعيّة، والفعّاليّة النقدية، وليتمكن ضياء الدين من تحديد العلاقات بين الفعاليتين الإبداعية والنقدية[٣].

الحياة الأدبيّة في عصر ابن الأثير:

لقد عاش ***ابن الأثير*** في نهايات العصر الأخير من الأعصر العباسية الأربعة[٤]. يبدأ هذا العصر بدخول طُغرلبك السلجوقي إلى بغداد سنة (٤٤٧هـ) وإزالته للسلطة البويهيّة من عاصمة الخلافة، وينتهي

١- ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، ج٥، صص٢٨و٢٧

٢- بطرس البستاني، **أدباء العرب في الأعصر العباسية**،ج٢، ص٤٤٩.

٣- سمر الفيصل، «*ابن الأثير الجزري وكتابه المثل السائر*»، **التراث العربي**، ص٧٥.

٤- يقسم العصر العباسي إلى أربعة أعصر تبعاً لأحواله السياسية والاجتماعية. فالعصر الأول من ابتدائه سنة (١٣٢هـ) إلى خلافة المتوكل سنة (٢٣٢ هـ). والثاني من خلافة المتوكل إلى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة (٣٣٤هـ). والثالث من تغلب البويهيّين إلى دخول السلاجقة بغداد سنة (٤٤٧هـ). والرابع من دخول السلاجقة بغداد إلى سقوطها في أيدي التتر سنة (٦٥٦هـ). (راجع : الزيات، **تاريخ الأدب العربي**، ص٢١٧)

بسقوط سلطة السلاجقة في أيدي التتر سنة (٦٥٦هـ). وفي أثناء هذا الدور نشبت الحروب الصليبيّة، ثمّ انقرضت الدولة الفاطميّة سنة (٥٦٧هـ) وقامت على أنقاضها الدولة الأيّوبيّة. وامتدّت هذه الحروب مائتي سنة أو تزيد قليلاً، من سنة (٤٨٨هـ) إلى سنة (٦٩١هـ) تلاحقت فيها موجات الإفرنج على الشام ومصر من إنكلترة، وفرنسة وجرمانية، وعملت في البلاد تقتيلاً وتدميراً[١] و« قد كان للحروب فى هذا العصر أثر كبير على الأدب العربى فى خصائص النثر وأغراضه ومع أنّ هذا الأثر قد تبدّى فى اتساع الفنون والأغراض فإنّ عدداً منها قد اتّسع اتساعاً كبيراً حتى كاد أن يصبح فنّاً جديداً كالقَصَص والردود على أتباع الأديان غير المسلمين»[٢].

وكانت الحضارة المعقدة فى هذا العصر قد أثرت فى النثر، فمال شيئاً فشيئاً نحو التقيّد بالإكثار من المحسنات البديعية. و« كان *الحصكفي* من روّاد هذا النوع من التكلّف والتعقيد في النثر العربي، فهو يمثّل في هذا العصر مرحلة تطورية في أسلوب التصنع، وكان نقطة تحول وانطلاق في النثر العربي نحو التعقيد والتصنع الشديدين. فقد سلك في كلّ رسائله وخطبه الأسلوب المسجع، وتكلّف مختلف الصور البيانيّة والزخارف البديعية. وقد أعجب القدماءُ كلّ الإعجاب بهذا التصنع في النثر العربي، إذ إنّه يعدّ دلالة على المقدرة الفنية في صوغ الأساليب وتعقيدها، وتقاس مكانة الأديب ومقدرته بما يتفوق فيه من هذا المجال»[٣].

استمر النثر العربي على هذا النهج من التكلف والتعقيد، حتى إذا وصلنا إلى العصر الأيوبي فإذا بنا أمام مدرسة جديدة رائدها *القاضي الفاضل* ربيب الفاطميين، مدرسةٍ بُنيت على الإكثار من المحسنات البديعية والتكلف فيها وتُعنى بالتورية عناية خاصة. وقد اتّبع أصولَ وقواعد هذه المدرسة معظمُ الكتّاب آنداك، فها هو *العمادُ الكاتب* أحد كبار الكتّاب في هذا العصر تراه يهتمّ بالتصنع في معظم فنونه النثرية.

ومن هذا المنطلق أصبح أسلوب القاضي- في هذا العصر- هو المتّبعَ «فالفواصل تمططت والاستعارات وألوان الجناس ما انفكت تتزايد، ثمّ التفخيم والإطناب والتصنع. وقد كان هذا يُعتبر فنّيّاً

[١]- عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، ص١٤٣- ١٤٤.

[٢]- **المصدر نفسه**، ص١٤٩.

[٣]- عمر موسى، **الأدب في بلاد الشام**، ص٧٤٢ وص٧٣٧.

من كلّ قيمة أدبية، فمجاميع الرسائل قد اتخذها نماذجَ مَن لايزالون مكلَّفين بكتابة مثلها بل لقد ظهرت قوالب ليستعملها العموم وقد كانوا يحررون رسائلهم الخاصة فى أسلوب تافه»[١].

وقد بقيت ميزة النثر على حالها هذه، و لم يتغير فيها شئ فيجعل لها صبغة خاصة تنفرد فيها، غير أنّ الكتّاب أسرفوا في تنميق العبارة، وطلب المحسنات البديعيّة، والتزام السجع، وعلى الأخص بعد ظهور الطريقة الفاضليّة في مصر، فـ«إنّ صاحبها القاضي الفاضل عني بأنواع البديع عناية عظيمة، وألحّ على التوريّة والجناس، فأطال جمله وباعد بين فواصلها المسجّعة، حتى تتم له القرائن والمرشحات لبيان التورية والجناس، فوقع في الغموض، وتعقّد إنشاؤه، وقلّ ماؤه، وكثُر غثاؤه. ووافق ظهور طريقته جموداً في الأفكار، وعجزاً عن الاستنباط لتوالي الحروب والمصائب، فأقبل الكتّاب يضربون على غرارها يلوك بعضهم أقوال بعض. فأصبح الإنشاء ولاسيما آخر العصر، عبارات مرصوفة، ومرادفات مصفوفة، وضعفت لغته، وانبثت فيه الكلمات العاميّة، فتلقفه زمن الانحطاط بهشاشة وارتياح»[٢].

إلّا أنّ هذا النوع من النثر لم يلقَ قبولاً لدى جميع الكتّاب والأدباء فقد خالفه عدد من ذوي الذوق السليم فرفضوه و لم يرضَوا به وذلك لِما طرأ عليه من الجمود في الأفكار و المعاني نتيجةَ العناية البالغة بالظاهر والصنعة اللفظية للكلام، ولمّا احتاج النثر في هذا العصر إلى الخلاصِ من هذا المستنقع والانطلاقِ نحو الإشراق، تكلّف الأمرَ، عددٌ من الأدباء والكتّاب، ولقد كان في مقدمتهم الكاتب والناقد الشهير ***ضياء الدين بن الأثير*** صاحب كتاب ***المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر***.

مفهوم العبقرية:

جاء في لسان العرب: «عبقر، موضع بالبادية كثير الجنّ، يقال في المثل: كأنّهم جنٌّ عبقر ثمّ نسبوا إليه كلّ شئ تعجبوا من حذقه أوجودة صنعه وقوته فقالوا:عبقريّ... . إنّ أصل العبقريّ صفة لكلّ ما بولغ في وصفه، وأصله أنّ عبقر بلد يُوشّى فيه البُسُط وغيرُها، فنُسب كلُّ شئ جيد إلى عبقر، وعبقريّ القوم: سيّدهم، وقيل العبقري الذي ليس فوقه شيء، والعبقريّ: الشديد، والعبقريّ: السيد من الرجال، وهو الفاخر من الحيوان والجوهر»[٣].

ويُستخدم لفظ العبقريّ في العصر الحديث لـ«لدلالة على الموهبة أو الاستعداد أو الذوق الفطري...، فيقال:إنّ الشخص لديه عبقرية للموسيقى، أولديه عبقرية في التخطيط للمكائد، أولديه

---

[١]- شارل بلّا، **تاريخ اللغة والآداب العربية**، ص ٢١٤.

[٢]- بطرس البستاني، **أدباء العرب في الأعصر العباسية**،ج٢، ص٤٢٥.

[٣]-ابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، ص٥٣٤ - ٥٣٥.

عبقرية في اللعب. والعبقرية أيضاً هي القدرة على الإبداع في نوع ما من المناشط أيّاً كان؛ فيقال: رجل عبقريّ وامرأة عبقريّة. والعبقرية والمواهب العظيمة نادرة في الغالب»[١].

وتطلق العبقريّة أيضاً على«القدرة الإبداعية في الفنون الجميلة، ولكن الاستخدام الشائع للفظ العبقرية يعني الموهبة الفذة، الخارقة للعادة في ناحية ما من نواحي الحياة»[٢].

وإذا لجئنا في تعريف العبقريّة إلى علم النفس نجد « أنّ هناك معنيَّين أساسيّين للفظ العبقريّة، يشير المعنى الأول منهما إلى قدرة ذهنية عُليا يمكن الوقوف عليها في ضوء أداء اختبار ذكاء مقنن. ويعني هذا المفهوم للعبقرية ببساطةٍ القدرةَ العقلية العليا، ويشير إلى مجرد الافتراض لإمكان تحقيق العبقرية وليس الوصول إلى العبقرية نفسها علميّاً.أمّا المعنى الآخر وهو الأكثر شيوعاً، فإنّه يعني أنّ العبقرية هي وجود قدرة إبداعية ذات مستوى عال بشكل غير مألوف عمّا هو ممارس في المنجزات المعتادة اليومية. وبهذا المعنى فإنّ الموهوبين ليسوا مجرد أشخاص حصلوا على ذكاء مرتفع، بل هم أولئك الأشخاص الذين يُحرزون تفوّقاً في ممارسة ما أو أكثر.... فالتفوق لكي يكون علامة للعبقرية يجب أن يكون حصول الشخص عليه من خلال إحرازه له شخصيّاً واتيانه بأعمال خارقة للمعتاد»[٣].

« إنّ العبقريّ شخص متفوق الذكاء، يمتاز بحساسيّته المفرطة للمعرفة وما ينطوي ذلك على موقفه من المشكلات، وإذا حاول أن ينتج فهو يؤثر التجديد، ويمتاز بغزارة الأفكار والصور الخياليّة التي تنهال عليه في يُسرٍ، وتُمكنه من أن يرى العالَمَ في كلِّ لحظة من زاوية جديدة. وإضافة إلى ذلك فهو متفوق في قدرته على تقييم ما ينتج ووضعه في المواضع اللائق في السياق، سواء سياق النغم أواللون أو الأحداث أو القضايا المنطقيّة[٤]». فالعبقرية بناء على ذلك لاتظهر في الأفراد المستسلمين للمألوف أوالمتعارف عليه بين الحشد(المجموع) إذ إنّ أولَ شروط العبقرية بما هي نبوغٌ فائق، تحققُ الشخصية المستقلة عن المجموع، ويلي ذلك التميز التدريجي لهذه الشخصية نتيجة شمول رؤيتها وموقفها من الحياة وكلّ ما فيها من أفكار ونظم وأعمال.

---

[١]- يوسف ميخائيل، **العبقريّة والجنون**، ص١٤.

[٢]-المصدر نفسه، ص١٤- ١٥. و: سايمنتن، **العبقريّة والإبداع والقيادة**، ص٧، وأيضاً: إبراهيم فتحي، **المصطلحات الأدبية**، ص٩٤.

[٣]- يوسف ميخائيل، **العبقرية والجنون**، ص٢٢- ٢٤.

[٤]- أحمد عكاشة، **آفاق في الإبداع الفني**، ص٤٥.

فــ«التمرد على الواقع والمألوف والكائن بالفعل أو المتعارَف عليه من أهمّ سمات الشخصية العبقرية التي تحرّكها دائماً شهوة عارمة للابتكار والتجديد، والهدم وإعادة البناء، والنقد والإبداع. وغنيّ عن القول إنّ الموقف الثوروي أو الطابع المتمرد للعبقريّ هو ما يدفعه إلى التميّز عن الحشد وإنّه لولا هذا التميّز لماتت عبقريّته وسط الجموع المتشابهة، غير الناقدة، غير المبدعة، المستسلمة لما ولدت عليه في المجتمع من أفكار ومعارف ونظم وسلوكيّات وأنماط في الفكر والمعرفة. ولولا تمرّد العبقريّة على البيئة التي وُلد ونشأ بها لما تطورت تلك البيئة أو تقدّمت، وبهذا المعنى يصبح العبقريّ هو الصانع الحقيقي للحضارة باعتباره الإنسان الأوحد الثائر على النمط الثابت للحياة، النمط المعتَرف به والذي يَعتبر(الحشدُ) الخروجَ عليه خروجاً عن المألوف أو شذوذاً عن العرف والتقاليد و...إلخ»[١].

مفهوم النرجسية:

يُعنى *بالنرجسية؛* الإعجاب المفرط بالذات؛ بحيث لايرى الإنسان في الوجود مَن يُماثله ويضاهيه في ما يظنّه قد استأثر به من الخصائص المتميزة والأعمال الناجحة في المجالات المختلفة[٢].

قد ورد في *المعجم الوسيط* عن مفهوم ***النّرجسيّة*** لغويّاً أنّ:«النرجس: نبت من الرّياحين، وهو من الفصيلة النرجسية، ومنه أنواع تزرع لجمال زهرها وطيب رائحته، وزهرته تُشبَّه بها الأعين، واحدته: نرجِسَة»[٣]. وفي *المنجد في اللغة*:«النَّرجِس، الواحدة (نَرجِسَة) نبت من الرّياحين من فصيلة النرجسيّات،أصله بصل صغار، وورقه شبيه بورق الكرَّاث، وله زهر مستدير أبيض أو أصفر تُشبَّه به الأعين»[٤].

وأمّا من الناحية التاريخية لنشأة لفظ ***النّرجسيّة*** فــ«هو مشتق من اسم أحد الأشخاص(نرجس) وكما تروي الأسطورة الأغريقية القديمة، كان هذا الشخص يتميّز بمظهر جميل، وقد شاهد أثناء تجوّله في أحد الأيام صورته المنعكسة في بحيرة هادئة في أحد الغابات، ووقع بجنون في حبّ نفسه متمثّلة في

[١]- عاطف عمارة، **الشخصيّة العبقريّة**، ص١٤و١٦.

[٢]- إبراهيم فتحي، **المصطلحات الأدبية**، ص٣٦٧، وعبد الرقيب البحيري، **الشخصية النرجسية**، ص٣و٤.

[٣]- إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، ص٩١٢.

[٤]- لويس معلوف، **المنجد في اللغة**، ص٨٠٠.

صورته، ومُلئ باليأس لأنّه لم يستطعِ الوصول إلى المحبوب فقتل نفسه، ومن نقاط الدّم القليلة التي سالت على الأرض بجوار الماء نمت زهرة عُرفت من هذا الوقت حتى يومنا هذا بزهرة النرجس[١]».

وقد استعان علماء النفس بهذه الأسطورة الإغريقية لإطلاق مصطلح *النرجسي* على كلِّ مَن هو مغرم بنفسه ويهيم في متاهات الحبّ لذاته والإعجاب بنفسه إعجاباً يَخلُقُ مِن المتّصف بهذا الطابع، شخصيّةً تغمض عينيها عن رؤية مَن سواها، فتحسب نفسها إلهاً ينبغي للجميع أن يعبُدوه!.

ولقد واجه مصطلح *النرجسية* تحوّلاً كبيراً عندما رُبط بينه وبين مجموعة من الأنماط السلوكية الخاصة. وهذا التعريف السلوكي يشتمل على عدّة معايير سلوكيّة منها: **أ-** المعنى المتعاظم لأهميّة الذات أو التفرّد: وعلى سبيل المثال، المبالغة في الإنجازات أو المواهب، والتركيز على هول مشاكله الخاصة. **ب-** الإنشغال بأخيلة النجاح غير المحدود، والقوة، والألمعيّة والجمال أو الحب المثالي. **ج-** الاستعراضيّة وحبّ الظهور: وهوطلبُ الفرد الانتباهَ والالتفات إليه والإعجاب به بصفة مستمرّة من الآخرين. **د-** الأهليّة أو الاستحقاق: توقّعه أن يكون هو الشخصَ المفضّل دائماً بغضّ النظر عن تحمّل المسؤليّات الملقاة على عاتقه. ومثال ذلك الدهشة والغضب من أنّ الناس لا يفعلون ما يرغبه[٢].

العلاقة بين العبقريّة والنرجسيّة:

لقد اهتمت الشعوب على اختلافها بالعبقريّة والعباقرة، وأخذت تتناقل أخبارهم وتسجّل ما تتضمّنه أخلاقهم من انحرافات عن السلوك المألوف، ولقد أخذ الناس يربطون بين سلوك العبقريّ وبين التلبّس بالجنّ مرة، وبينه وبين الجنون أخرى، وبينه وبين الشذوذ في التكوين الجسمي ثالثة.

وإذا تصفحّنا الدّراسات التي أجريت على الشخص المبتكر والعبقريّ نجد«أنّ صورة هذا الشخص تميل إلى الإنطواء والتوجيه الذاتي والاندفاعيّة والاستقلال الذاتي، والحاجة القويّة للسيادة والسيطرة والاستغلال، ونقص المشاعروالعواطف، والعدوانيّة، والحاجة إلى التقدير»[٣].

ومن الملاحظ وجود مطابقات عديدة بين هذه الصورة والصورة المرسومة للشخصيّة النرجسيّة. ويمكن القول إنّ الشخص العبقري والمبتكر أكثر نرجسيّة وأكثر استعراضاً من غير المبتكر والذي لا يوصف بالعبقرية.

---

[١]- عبد الرقيب البحيري، **الشخصية النرجسية**، ص٣.

[٢]- **المصدر نفسه**، ص٤٧- ٤٨.

[٣]- عبد الرقيب البحيري، **الشخصية النرجسية**، ص٨٤.

وإذا اتّجهنا إلى التراث العربي نجده مليئاً بالقصص الخاصة بحياة العباقرة وما في سلوكهم من شذوذ أو خروج عن المألوف. من هذا ما ذُكر عن بشار بن بُرد، أنّه كان سيئَ الخلق، سريع الغضب، سريع الهجاء، متجاهراً بالسكر، مفتخراً بالزنا، وكان من خلقه محبّة اللذات والتنعّم، وقد عرفه الناس بذلك. أمّا أبو الطيّب المتنبي فقد لمعت عبقريته في الشعر أيضاً مثل بشّار، وكان حادَّ الذكاء، صريحاً، لايستطيع أن يخفي ما في نفسه، وقد توالت عليه أوقات شدّة ورخاء وتتابعت ساعات أمن وساعات قلق، وكان مضطرباً بين الرضا والغضب، والبؤس والنعيم. ولقد نشأ المتنبي طموحاً إلى أقصى حدّ الطموح، يعتد بنفسه كلّ الاعتداد ولا يرى في الوجود ندّاً ولا مثيلاً له[١].

ويمكننا أن نقف على صلة متينة بين العبقرية والنرجسية وذلك من خلال الوقوف على أنّ الجنس البشري _غالبيته، إن لم نقل قاطبته_ يهوي دائماً إلى الاستئثار بما لم يبلغه أحد، فالإنسان كثيراً ما يبغي أشياءَ غير متاحة للجميع ليختص هو نفسه بها فيجعلها وساماً مناطاً على صدره. فتراه يحلم بذلك منذ نعومة أظفاره، وقد يطغى هذا الحلم على صاحبه فيجعله يفتخر بما ليس فيه. فما بالك إذا حققت العبقرية والنبوغ للإنسان ما يجعله حقيقاً بأن يَفتخِر بأعمال عظيمة نال فيها النجاحَ.

إلّا أنّ هذا النوع من المفاخرة والاعتداد بالنفس قد يختلف شدة وضعفاً من شخص لآخر، فقد ترى من الناس من هو في ذروة النجاح والتفوّق ولكن لم تشاهد فيه شيئاً من ذاك الفخر والاعتداد بالنفس، وقد تشاهد عكس ذلك أي قد تواجه شخصاً لم يذق طعم الفوز والتفوق في حياته أبداً ولكن تراه وكأنّه هو المتفوق الجدير بالتقدير والتكريم.

أمّا إذا اتّجهنا إلى ***ابن الأثير*** فنجده بحقّ يستحق بأن يُدعى بـ(العبقري) فقد خطى بنبوغه خطوات التجديد والحداثة في الأدب العربي وإن لم تُسَر بعده خطواتُه التجديدية، إلّا أنّه قد طغى عليه ذلك الطابع من الفخر والاعتداد بالنفس الذي لايُستحن من العلماء ولا يقع فيهم موقع الصواب.

عبقريّة ابن الأثير:

قد تمتع ابن الأثير بشخصيّة متميّزة في الأدب والنقد والبلاغة، فقد كان واسع الثقافة والمعرفة، مُجيداً ومُلمّاً بشتّى صنوف المعرفة الشائعة في عصره، وكتابه (المثل السائر) درّة بين كتب البلاغة والنقد، وقد أحدث حركة كبيرة في علم البيان، وأفاد منه مَن جاء بعده من النقّاد والبلاغيّين، وكان له حضور واضح في مؤلّفاتهم.

---

[١]- يوسف ميخائيل، **العبقرية والجنون**، ص٦- ٨.

يقول البستاني:«... وكان ابن الأثير في مقدمة مَن أوضح معالمَ البلاغة وأحكم الكلام على فنون الإنشاء، ورتّب فصوله وأنواعه، وبيّن أصوله وفروعه، ودقّق في جمال اللفظ المفرد والمركب، وحلّى النقد الأدبي بجراءة لا تَعرف هوادة ولا مداراة، ورفع بنيانه على قوة المنطق وبراعة التعليل»[1].

« والواقع أنّ أكثر ما ذَكره ابن الأثير من أصول فن الأدب، وما يسمو به وما ينحط لم يكن من أثر النظر والتحيل لمثل الفنّ الأدبي، كما كان ذلك شأن أكثر الآراء التي أثرت عن الذين قنّنوا لهذا الفن ووضعوا قواعده، وقد كان جهد أكثرهم أهميّة، وأجدرهم بالاعتبار، الموازنة بين الأعمال الأدبيّة، واستخلاص مظاهر القوة والجمال التي تمتاز بها بعض تلك الأعمال الأدبيّة على بعض....على حين أنّ ابن الأثير كانت صفته الأساسيّة البارزة اشتغاله بالأدب، واحترافه فن الكتابة الذي عُدّ عَلَماً من أعلامه، وارتقى به هذا الفنُّ حتى وصل به إلى مرتبة الوزارة وتصريف شئون المملكة.لذلك كانت آراؤه في الأدب والنقد صادرة عن الفنّ الذي أعدّ نفسه له، وعن التجربة التي عاش فيها حياته»[2].

ابن الأثير رائد التجديد في النثر الفني:

قد مرّ آنفاً أنّ العبقريّ شخص متفوق الذكاء، يمتاز بحساسيّته المفرطة للمعرفة وما ينطوي ذلك على موقفه من المشكلات، وإذا حاول أن ينتج فهو يؤثر التجديد. إذ التفوق وحده لايكون مقياساً سليماً للعبقرية، ولكي يكون التفوق علامة للعبقرية يجب أن يكون حصول الشخص عليه من خلال إحرازه له شخصيّاً واتيانه بأعمال خارقة للمعتاد. فالتمرد على الواقع والمألوف والمتعارَف عليه من أهمّ سمات الشخصية العبقرية التي تحرّكها دائماً شهوة عارمة للابتكار والتجديد، والهدم وإعادة البناء، والنقد والإبداع.

ولاشك أنّ ابن الأثير كان يحمل في عصره رآية التجديد في النثر الفني، ولقد أحدث ثورة أدبيّة كبرى بكتابه (المثل السائر)، إذ إنّنا لا نجد كتاباً نظيره أحدث ضجّة في الأوساط الأدبيّة والديوانيّة في الشام ومصر والعراق. فقد خالف الأساليب المتّبعة التي عرفها الناس في مدرسة التصنّع النثريّة، وهاجم روّادها الكبار أمثال الحصكفي، والقاضي الفاضل، والعماد الكاتب، وغيرهم[3].

ويعتبر(ابن الأثير) رائد مدرسة سُمّيت بالمدرسة الأثيريّة، والتي ظهرت في القرن السابع، وكان ظهورها تطوّراً حتميّاً، وضرورة استلزمتها طبيعة الصراع الأدبي بين القديم والجديد. فقد اعتمدت هذه المدرسة الجديدة على محاولة هدم أركان المدرسة الحُصكفيّة التي مثّلها في هذا العصر القاضي الفاضل

---

[1]- بطرس البستاني، **أدباء العرب في الأعصر العباسية**، ج٢، ص٤٤٩.

[2]- ضياء الدين بن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**(*المقدمة*)، ج١، ص٦- ٧.

[3]- عمر موسى، **الأدب في بلاد الشام**، ص٧٧٢.

والعماد الكاتب، فهي تحاول بعد هذا الهدم أن توجد نظريّة جديدة في جوهر السجع العربي، وتعترض على طبع البيان العربي كلّه بطابع التصنع السجعي، وتطلب الحدّ من استفحاله والاقتصار منه على ما يلائم الطبع وما تقبله النفس وتشترط على كلّ كاتب أن يبتعد عن كلّ أساليب التكلّف والتعقيد والإسراف في الإغراب[١]. فقد وضع ابن الأثير نظريّته الجديدة في السجع و التي يرى فيها«أنّ الأصل في السجع إنّما هو الاعتدال في مقاطع الكلام،... وتنبغي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة، حادّة، رنّانة،لا غثّة ولا باردة،... ويجب أن يكون اللفظ فيه تابعاً للمعنى، لا أن يكون المعنى فيه تابعاً للفظ، فإنّه يجئ عند ذلك كظاهر مُموَّه على باطن مُشوّه، ويكون مَثَلُه كغِمد من ذَهَب على نصل من خَشَب»[٢].

وبهذه النظريّة الجديدة قد عاب ابن الأثير الطريقة التي سار عليها معظم الأدباء والكتّاب في عصره وفي مقدمتهم الحصكفي، والقاضي الفاضل، والعماد الكاتب، ومن ثم وضع أصول مدرسته الجديدة.

نرجسيّة ابن الأثير ومظاهرها في (المثل السائر):

إنّ المتتبّع لإنتاجات (ابن الأثير) الأدبية يجد فيها ما ضمنه أدبه من مظاهر الإعجاب بالنفس والحبّ للذات ولقدرته الفنية والأدبية، فقد يعرض ابن الأثير في آثاره نماذج من رسائله وهو معجب بها، ومنوّهٌ بقدرها، ويحاول مااستطاع أن يبيّن لك ما وصل إليه فيها من معان جديدة، وأفكار مبتكرة، وقد يوازن بين كلامه وكلام غيره ليُقنعك بجودة ما خطّته براعته. كلّ ذلك يدلّ على وجود هذه الظاهرة النفسية عند ابن الأثير. يقول البستاني: « كان [ابن الأثير] كثير الإعجاب بنفسه حتى الغرور، لايرى خيراً إلّا فيما يقول ويفعل، وقلّما يرى خيراً فيما يقول غيرُه ويفعل. فكثرت أذيته في العلماء والأدباء الذين تقدّموه أو عاصروه، وأوقع بهم و ازدراهم وحقّر آراءهم ورماهم بأقبح الأوصاف»[٣].

وقد سيطرت نرجسيته على شخصيته في جميع الحالات، وقد مرّ بنا أنّه كيف استغلّ بمنصب الوزارة واستبدّ بالحكم و بهذا قد أساء المعاملة مع من هو أنزل منه مرتبة ومنزلة.

وإذا اتّجهنا إلى الكشف عن نرجسية ابن الأثير في إنتاجاته الأدبية ومنها *المثل السائر* خاصة، لوجدناها ظاهرة كلّ الظهور في إنشائه، تلتقيها كيف سرت، فتراه أبداً يحدّثك عن نفسه، وينبّه

---

[١]- المصدر نفسه، ص ٨٥٢- ٨٥٣.

[٢]- ضياء الدين بن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج١، ص٢١٢- ٢١٣.

[٣]- بطرس البستاني، **أدباء العرب في الأعصر العباسية**، ج٢، ص٤٤٣.

خاطرك إلى آرائه، ويدلّ عليك بصحة علمه وقوة استنباطه، ويملأ رأسك بكثرة دعاويه، حتى لتحسه وهو يتكلم على ابتداعاته، نبيّاً يوحى إليه.

وقد تمت في هذا البحث محاولة لضبط أهمّ المظاهر لنرجسيّة ابن الأثير وأكثرِها ظهوراً وتكراراً في كتابه *المثل السائر*. وقدكان ذلك فيما يلي:

***- تنبيه القارئ على المواضع البلاغيّة الدقيقة وأنّه أول من نبّه عليها:**

فقد وفّرت العبقريّة لابن الأثير إمكانيّةَ الكشف عن مسائل ربّما لم يقف عليها أحد من قبله، الأمر الذي جعله يتباهى ويعتزّ به فأراد ابن الأثير أن يَعرف القارئُ ذلك حتى يقف على عبقريته ونبوغه. فلمّا كشف من أنواع التكرار ما هو المعنى فيه مضافاً إلى نفسه مع اختلاف اللفظ، وذلك يأتي في الألفاظ المترادفة، قال:« وربّما أشكل هذا الموضع على كثير من متعاطي هذه الصناعة، وظنّوه ممّا لا فائدة فيه، وليس كذلك بل الفائدة فيه هي التأكيد للمعنى المقصود والمبالغة فيه، فالمراد بقوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيم ﴾.**(سبأ/٥)** أي عذاب مضاعف من عذاب، إلى أن يقول: « وهذا الموضع لم ينبّه عليه أحدٌ سواي»[١]. وأيضاً قوله: « وهذا شئ لم ينبه عليه أحدٌ غيري» وذلك بعد تطرقه إلى السجع بقوله: « واعلم أنّ للسجع سرّاً هو خلاصته المطلوبه، فإن عُرِّي الكلام المسجوع منه فلا يُعتدّ به أصلاً»[٢].ومثل هذه الأقوال كثير في (المثل السائر) ولا مجال للإتيان بالمزيد منها في هذه العجالة، ويكفيك أن تتصفحه كي تقف عليها، وتستنبط من خلالها عبقرية (ابن الأثير) ومن ثم نرجسيته.

***- الإتيان بأمثلة من أدبه بعد التطرق إلى بعض المسائل الأدبيّة والبلاغيّة:**

كان ابن الأثير أديباً وناقداً كبيراً، نافذَ البصيرة، مفلقاً في ما يكتب وينقد وهو قد أفاد الأدب العربي بنظريّاته الجديدة وآرائه القيمة، إلّا أنّه قد لا يُحسَنُ أن يأتي الأديبُ في نتاجه بنماذج من أدبه فيستشهد بها ويشير إلى حسنها، فهذا غير محبّب لدى الكثير. وقد كان ابن الأثير لا يقنع بما يستشهد به من الأقوال والأشعار لكبار الأدباء والشعراء بل قد يراها غير وافية للمقصود وأنّها لا تخلو من المعيبات، فيأتي بنماذج من أدبه و يرى أنّه ينبغي أن يسار عليها وأن تصبح هي المتبّعة، ممّا يشير إلى نرجسيته وإعجابه بنفسه وبأدبه. يقول مثلاً بعد أن ذكر الشروط اللازمة للسجع: « وسأورد ها هنا

---

[١]- ضياء الدين بن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج٣، ص١٦.

[٢]- **المصدر نفسه**، ج١، ص٢١٤

من كلامي أمثلة يُحذى حَذوها، فإنّي لما سلكتُ هذه الطريق، وأتيتُ بكلامي مسجوعاً توخّيتُ أن تكون كلُّ سجعة منه مختصة بمعنى غير المعنى الذي تضمّنتها أختها، وإذا تأمّلتَها علمتَ صحة ما قد ذكرتُه»[١] ثمّ يأتي بعد ذلك بثلاثة رسائل ممّا كتبه وضمّنه السجع، ثم يقول:« فانظر أيّها المتأمّل إلى هذه الأسجاع جميعها، وأعطِها حقّ النظر، حتى تعلم أنّ كلّ واحدة منها تختص بمعنى ليس في أختها التي تليها، وكذلك فليكن السجعُ، وإلّا فلا»[٢].

ويأتي أيضاً بأربع مقطوعات ونماذج من أدبه عندما يتطرق إلى مسألة (المقابلة)، فيقول:«ومن كلامي في هذا الباب ما كتبتُه في صدر مكتوب إلى بعض الإخوان وهو: صدر هذا الكتاب عن قلب مقيم، وجسد سائر، وصبرمُليم، وجزع عاذر، وخاطر أدهشته لوعة الفراق فليس بخاطر»[٣]. ومثل هذا كثير في *المثل السائر* إذ نراه مثلاً يأتي بأكثر من مائة نموذج من أدبه عندما تطرق إلى مسألة (حلّ الأبيات الشعرية) وهو يشير إلى حسنها ويدعو القارئ باتّباعها[٤].

***- تنبيه القارئ على ما أتى به من المعاني الغريبة:**

فقد كان ابن الأثير لا يرى حرجاً من أن يأتي بنماذج من المعاني الغريبة التي قالها وابتدعها، فيعارض بها معاني بعض الشعراء الغريبة التي ذكرها في كتابه ومن ثم يفخر بمعانيه وهو معجب بها كلّ الإعجاب، وذلك لكي ينبّه القارئ على مقدرته على خلق مثل هذه المعاني ممّا يُعارَض به كبار الشعراء والكتّاب ومن ثمّ يلمح به إلى تفوقه. فمثلاً يقول بعد أن ذكر أشعاراً لبعض الشعراء فيها معان غريبة:« وقد جاءني شئ من ذلك في الكلام المنثور، فمن ذلك ما ذكرته في وصف النساء...إلى أن يقول: وهذا معنى غريب، وربّما قد سُبقتُ إليه، إلّا أنّه لم يَبلُغني، بل ابتدعتُه ابتداعاً»[٥]، وأيضاً قوله:« ومن ذلك ما ذكرتُه في فصل من كتاب، فقلتُ:إذا تخلّق المرءُ بخُلُق البأس والنّدى لم يخف عرضُه دَنَساً، كما أنّ الماء إذا بلغ قُلّتين لم يَحمِل نجساً...إلى قوله: وهذا المعنى مبتدع لي... »[٦]. ومثل هذا وذاك كثير في كلام ابن الأثير.

---

[١]- **المصدر السابق**، ج١، ص٢١٥.

[٢]- **المصدر نفسه**، ج١، ص ٢١٧.

[٣]- **المصدر نفسه**، ج٣، ١٤٥.

[٤]- **المصدر نفسه**، ج١، ص١٦٠-١٠٥.

[٥]- **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٨.

[٦]- **المصدر نفسه**،ج٢، ص١٩.

***- تنبيه القارئ على ما حصَل وجَمع من العلوم والمعارف:**

وذلك مثل قوله:« وكنتُ عثرتُ على ضروب كثيرة منه [يقصد علم البيان] في غضون القرآن الكريم، و لم أجد أحداً ممّن تقدّمني تعرّض لذكر شئ منها، وهي إذا عُدّت كانت في هذا العلم بمقدار شَطره، وإذا نُظر إلى فوائدها وُجدت محتوية عليه بأسره، وقد أوردتُها هاهنا[المثل السائر]، وشفعتُها بضروب أُخر مدونة في الكتب المتقدمة، بعد أن حذفتُ منها ما حذفتُه وأضفتُ إليها ما أضفتُه. وهداني الله لابتداع أشياءَ لم تكن من قبلي مبتدعة، ومنحني درجة الاجتهاد التي لاتكون أقوالها تابعة، وإنّما هي متّبعة»[١].

***- التنبيه على قيمة كتابه؛ *المثل السائر*:**

فقد نبّه *ابن الأثير* على ما احتواه واشتمل عليه كتابه؛ *المثل السائر* من العلوم الأدبية والنقدية والبلاغية المتنوعة، ممّا جعل هذا الكتاب أن يتفرّد بين سائر الكتب الصادرة في هذا المجال، وذلك كقوله:« وإذا تركتُ الهوى قلتُ إنّ هذا الكتاب بديع في إغرابه، وليس له صاحب في الكتب، فيقال: إنّه مُفرَدٌ بين أصحابه، من أخدانه، أومن أترابه... واعلم أيّها الناظر في كتابي أنّ مَدار علم البيان على حاكم الذَّوق السليم الذي هو أنفع من ذوق التعليم، وهذا الكتاب وإن كان فيما يُلقيه إليك أستاذاً، وإذا سألت عمّا يُنتفع به في فنّه قيل لك هذا! فإنّ الدُّربَة والإدمان أجدى عليك نفعاً وأهدى بصراً وسمعاً... فخُذ من هذا الكتاب ما أعطاك، واستنبط بإدمانك ما أخطاك، وما مَثَلي فيما مهّدتُه لك من هذه الطريق إلّا كمن طبع[أي عمل] سيفاً ووضعه في يمينك لتقاتل به، وليس عليه أن يخلق لك قلباً فإنّ حمل النصال غير مباشرة القتال»[٢].

***- الاستهزاء ببعض كبار الكتّاب والشعراء والازدراء آرائهم:**

وكم تراه وقد عرض لأقوال غيره من الكتّاب فطعن عليها، وازدراها كما فعل بالحريري وابن نُباتة الخطيب، وقد عرض للشعراء، فأدرك عليهم ما عاب من أقوالهم، واستهزأ بمن يتعصب لبعضهم حتى لا يرى له عيباً، فعله بالمتنبي وأبي العلاء المعرّي، فإنّه أورد هذا البيت لأبي الطيب[٣]:

ولا يُبرَم الأمر الذي هو حالِل * ولا يُحلَلُ الأمرُ الذي هو مُبرِمُ

---

[١]- **المصدر السابق**، ج١، ص٣٤.

[٢]- **المصدر نفسه**، ج١، ص٣٥.

[٣]- أبو الطيب المتنبي، **الديوان**، ص١١٤.

وقال:« فلفظة (حالل) نافرة عن موضعها، وكانت له مندوحة لو استعمل عوضاً عنها كلمة (ناقض)، وجعل (لا ينقض) موضع (لا يحلل) ».ثمّ قال:« وبلغني عن أبي العلاء بن سليمان المعرّي أنّه كان يتعصب لأبي الطيب حتّى أنّه كان يسمّيه الشاعر ويسمّي غيره من الشعراء باسمه، وكان يقول: ليس في شعره لفظة يمكن أن يقوم عنها ما هو في معناها، فيجئ حسناً مثلها. فياليت شعري أمَا وقف على هذا البيت المشار إليه؟ لكنّ الهوى كما يقال أعمى، وكان أبو العلاء أعمى العين خِلقَةً، وأعماها عصبيّةً، فأجمع له العَمَى من جهتين»[١].

***- تنبيه القارئ على أنّه متفوّق على كبار الأدباء والكتّاب:**

كان ابن الأثير ينقد آثار أعلام الأدب العربي في عصره كالقاضي الفاضل، وابن زياد الكاتب البغدادي، وأبي إسحاق الصابي، والصاحب بن عبّاد وغيرهم ممّن عاصروه أو تقدّموه، إلّا أنّه لم يقنع بهذا النقد بل كان يتبعه بنماذج من آثاره ويوقف على الفرق بين أسلوبه وأسلوب غيره، حتى يستدرج قارءه إلى الإذعان لنبوغه، والتسليم بتفوقه، ثم يثني على نفسه وفنّه بما استطاع. ومثال ذلك، رسالةٌ كتبها ليظهر براعته على(ابن زياد الكاتب) الذي كتب رسالة إلى الملك الناصر، فبعد أن عرض لها وذكر عيوبها قال:« وحضر عندي في بعض الأيام إخواني، وجرى حديث ذلك، فسألني عمّا كان ينبغي أن يَكتب[ابن زياد]... فذكرتُ ما عندي وهو...إلخ» إلى أن يقول منبّهاً القارئ إلى ما وُفّق إليه، وموازناً بين نفسه وابن زياد:« فانظر أيّها المتأمل كيف جئتُ بالخبر النبوي وجعلتُه شاهداً على هذا الموضع، ولا يمكن أن يحتج في مثل ذلك إلّا بمثل هذا الاحتجاج، وما أعلم كيف شذّ عن ابن زياد أن يأتي به...!؟ »[٢]. وأمثال هذا كثيرة في ثنايا *المثل السائر* الذي زيّف فيه كثيراً من آراء العلماء والبلاغيين والنقاد والكتّاب، وذلك ليبني على هذا الانتقاص إعجابه بنفسه، وزهوه بفنّه.

***- حَثّه لمن يريد تعلّمَ الكتابة على أن يتّبع ما وَضَعَه من الأصول والشروط لهذا الفنّ:**

فقد وضع ابن الأثير شروطاً للكاتب _ وهي شروط سبعة جاء بها في كتابه المثل السائر[٣]_ فاشترط على من يريد إتقان الكتابة أن يتبع هذه الشروط ولاغير، إذ لا يرى شخصاً يستحق لقب (الكاتب) إلّا بعد توّفر هذه الشروط نفسها فيه. وقد ألمح إلى ذلك بقوله:« وتقدم في صدر كتابي هذا أنّه يجب على صاحب هذه الصناعة أن يتعلق بكلّ صناعة، ويخوض في كلّ فنّ من الفنون، لأنّه مكلّف بأن

[١]- ضياء الدين بن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج١، ص٣١٦- ٣١٧.

[٢]- **المصدر نفسه**، ج١، ص٥٨- ٥٩.

[٣]- **المصدر نفسه**، ج١، ص٤٠- ٤١.

يخوض في كلّ معنى، فأضمُم يدك على ما ذكرتُه ونصصتُ عليه، واترك ماسواه، فليس القائل بعلمه واجتهاده كالقائل بظنّه وتقليده»[١].

النتيجة:

قد تمثّلت عبقرية ابن الأثير في محاولته لهدم الأصول والقواعد التي قامت عليها المدرسة الفاضلية، إذ إنّ التمرد على الواقع والمألوف والمتعارف عليه من أهمّ سمات الشخصية العبقرية. فكان ابن الأثير يحمل في عصره راية التجديد في النثر الفني، ولقد أحدث ثورة أدبيّة كبرى بكتابه *المثل السائر*، إذ إنّنا لا نجد كتاباً نظيره أحدث ضجّة في الأوساط الأدبيّة والديوانيّة في الشام ومصر والعراق. فقد خالف الأساليب المتّبعة التي عرفها الناس في مدرسة التصنّع النثريّة، وهاجم روّادها الكبار أمثال الحصكفي، والقاضي الفاضل، والعماد الكاتب، وغيرهم.

وقد تركت عبقرية ابن الأثير في صاحبها طابعاً من النرجسية وحبّ الذات، فأصبح ابن الأثير ذا شخصية نرجسيّة يعجب فيها بنفسه وبأدبه وقد تمثّلت مظاهر هذه النرجسية في كتابه الشهير *المثل السائر*، وأهمّها ما يلي:

أولاً- تنبيه القارئ على المواضع البلاغيّة الدقيقة وأنّه أول من نبّه عليها.

ثانياً- الإتيان بأمثلة من أدبه بعد التطرق إلى بعض المسائل الأدبيّة والبلاغيّة.

ثالثاً- تنبيه القارئ على ما أتى به من المعاني الغريبة.

رابعاً - تنبيه القارئ على ما حصَل وجمَع من العلوم والمعارف.

خامساً- التنبيه على قيمة كتابه؛ *المثل السائر*.

سادساً- الاستهزاء ببعض من كبار الكتّاب والشعراء والازدراء بآرائهم.

سابعاً- تنبيه القارئ على أنّه متفوّق على كبار الأدباء والكتّاب.

ثامناً- حثّه لمن يريد تعلّمَ الكتابة على أن يتّبع ما وَضَعَه هو من الأصول والشروط لهذا الفنّ.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. ابن الأثير، ضياء الدين، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، القاهرة: دارالنهضة، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دون معلومات.

[١]- **المصدر نفسه**، ج٣، ص٢١٥.

٢. ابن خلّكان، أبو العباس، **وفيات الأعيان**، د.ط، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٩م.

٣. ابن منظور، الافريقي المصري، **لسان العرب**، بيروت : دار صادر، دون معلومات.

٤. البحيري، عبد الرقيب أحمد، **الشخصية النرجسية**، ط١، مصر: دار المعارف، ١٩٨٧م.

٥. البستاني، بطرس، **أدباء العرب في الأعصر العباسية**، بيروت: دار الجيل، دون معلومات.

٦. بلّا، شارل، **تاريخ اللغة والآداب العربية**، ط١، بيروت: دارالغرب الاسلامي،١٩٩٧م.

٧. الزيات، أحمد حسن، **تاريخ الأدب العربي**، القاهرة : دار نهضة مصر، دون معلومات.

٨. سايمنتن، دين كيث، **العبقريّة والإبداع والقيادة**، د.ط، ترجمة: شاكر عبد الحميد، الكويت : عالم المعرفة، ١٩٩٠م.

٩. فتحي، إبراهيم، المصطلحات الأدبية، ط١، تونس: التعاضدية العمالية، ١٩٨٦م.

١٠. فروخ، عمر، **تاريخ الأدب العربي**، ط٥، بيروت: دار العلم للملايين،١٩٨٩م.

١١. الفيصل، سمر روحي،«ابن الأثير الجزري وكتابه المثل السائر»، **التراث العربي**، العدد٧٩،محرم١٤٢١ه.

١٢. عكاشة، أحمد، **آفاق في الإبداع الفني**، ط١ القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠١م.

١٣. عمارة، عاطف، **الشخصيّة العبقريّة**، هلا بوك شوب، دون معلومات.

١٤. عنايت، راجي، **علماء العرب**،ط١، بيروت: المؤسسة العربيّة، ١٩٨٨م.

١٥. مصطفى، ابراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، د.ط، القاهرة: مكتبة الشروق الدوليّة، ٢٠٠٤م.

١٦. المتنبّي، أبو الطيب، **الديوان**، د.ط، بيروت: دار بيروت،١٩٨٣م.

١٧. معلوف، لويس، **المنجد في اللغة**، ط٣٣ بيروت: دار المشرق، ١٩٩٢م.

١٨. موسى باشا، عمر، **الأدب في بلاد الشام**، ط١، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٨٩م.

١٩. ميخائيل، يوسف، **العبقريّة والجنون**،د.ط، القاهرة: دارغريب، ٢٠٠١م.

ابن اثیر؛ از نبوغ و برتری تا خودشیفتگی و غرور

دکتر عیسی متقی زاده*
محمد کبیری**

چکیده:

این جستار به بررسی نمونه ای از تحول یک شخصیت نابغه به شخصیتی خود شیفته می پردازد.خودشیفتگی آدمی را از حالت طبیعی ومعمول خود خارج ساخته واو را در فضایی آکنده از غرور، خودپسندی و خودپرستی قرار می دهد.

روانشناسان با بررسی های که در مورد شخصیت نابغه انجام داده اند دریافتند که این نوع شخصیت میل بیشتری به خودشیفتگی و خودپسندی دارد.

در این پژوهش به بررسی یکی از شخصیتهای نابغه به نام ابن الأثیر پرداخته شده است، این شخصیتِ برجسته ی ادبیات عربی، گامهای نوینی در جهت احیای زبان وادبیات عرب در سده ششم و به ویژه سده هفتم هجری که ستاره ادبیات عرب رو به افول گذاشته بود، برداشته است.اما این شخصیت نابغه از خودشیفتگی حاصل از نبوغ در امان نماند، و به شخصیتی خودشیفته تبدیل شد.

در این جستار پس از بررسی زندگانی ابن اثیر وحیات ادبی عصرش، ابتدا به تبیین مفاهیمی همچون نبوغ و خودشیفتگی و رابطه ی موجود میان آنها پرداخته شده است، سپس به بررسی جلوه هایی از نبوغ وبرتری او و نمونه هایی از آنچه خودشیفتگی او را در کتاب مشهورش *المثل السائر* نشان می دهد پرداخته شده است.

کلید واژه ها: ابن اثیر، نبوغ و برتری، خودشیفتگی، المثل السائر

* - استادیار گروه زبان وادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس تهران.
** - کارشناس ارشد رشته ادبیات عربی، دانشگاه تربیت مدرس تهران.

تاریخ دریافت: 1390/10/25هش= 2012/01/15م تاریخ پذیرش: 1391/5/20 هش =2012/08/10م

Ibn al-Asir: From Genius and Superiority to Narcissism

Dr. Eisa Motaghizadeh*
Mohammad kabiri**

Abstract

This study fouses on the transformation of a genius to a narcissist. Narcissism removes man from the normal situation and puts him in an atmosphere of arrogance and conceit.

Psychologists have found that genius tend to become narcissists and be afflicted with conceit. This article investigated the Personality of Ibn-al-Asir. This figure in Arabic literature took a creative step in reviving Arabic literature and literature in 6th and 7th centuries, when Arabic literature was in decline. But, he was not immune to narcissism arising from his genius. In this investigation, having surveyed Ibn-al-Asir's life and literary context, we elaborate on such concepts as genius and narcissism and their interrelationship. Then we consider some of the manifestations of this genius and his superiority and examples of his narcissism as found in his well-known book, Al-Masal Al-Saer.

Key words: Ibn al-Asir, Genius, Superiority, Narcissism, Al-Masal Al- Saer.

*- Assistant Professor, University of Tarbiat Modares, Iran.
**- MA student, University of Tarbiat Modares, Iran.